

اللغة العربية والعولمة

الأستاذة: د/ نعيمة بوزيدي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة البليدة 2

مقدمة:

تعدّ اللغة العربية من أبرز ملامح ثقافتنا اللغوية، وهي من أكثر اللغات الانسانية ارتباطا بالهوية، وهي اللغة الانسانية الوحيدة التي صمدت شاهدة على حضارة أمتها في ازدهارها وانتكاسها¹ والعولمة لغة مشتقة من عالم التي يعرفها "مختار الصحاح" وتجمع عوالم والعالمون "أصناف الخلق والعالمين تشمل الكون أي علمنا والعوالم الاخرى، ومصطلح العولمة هو ترجمة لكلمة Globalization الانجليزية وقد اختلف المختصون والباحثون في تحديد تعريف معيّن لها فهي تعني عند "عبد الستار الراوي" إشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله نمودجا كونيا يتوجب تبنيه وتقليده، وقد استفاد من التطور الهائل والسريع في وسائل وأجهزة الاعلام والتقنيات العلمية والمعرفية في نقل وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى² وهي عند "محمد عابد الجابري" نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت، وإنّ اضعاف سلطة الدولة والتخفيف من حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتما الى استنهاض أطر الانتماء سابقة على الدولة... والنتيجة تفتيت المجتمع وتشتيت شمله³ ويرى "حسين علوان" أن العولمة ظاهرة تنم عن الهيمنة الامريكية على الأصعدة المختلفة الاقتصادية والسياسية والثقافية عن طريق تعميم النموذج الأمريكي على الامم والشعوب الاخرى وفرضه عليها وذلك تحقيقا لأهداف الاستراتيجية الكونية الامريكية بالسيطرة على العالم⁴ إذا عملية العولمة هي بداية نشوء ثقافة عالمية بغض النظر عن جذور تلك الثقافة يفرضها المشاركون في العملية على من لا يشارك، أو ليست لديه القدرة على المشاركة.

إنّ أول العولمات وأقدمها في تاريخ الحضارات هي عولمة اللغة؛ لكونها نقطة النهاية في طبيعة الحياة الانسانية القائمة على صراع الأفكار والمصالح وسيادة الأنا على حساب الآخرين، فتصادم الحضارات عبر التاريخ لم يكن دائما بدوافع اقتصادية أو دينية أو قومية، وإنما كانت اللغة بوصفها كالدين روح الأمة الناطقة بها وهويتها ومكمن تاريخها وحضارتها وثقافتها

¹ - ينظر نبيل علي، ورقة عمل بعنوان اللغة العربية والعولمة، مقدمة لمجمع اللغة العربية الأردني في موسمه الثقافي 2001، ص 90

² - عبد الستار الراوي، في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، 1998، عدد 228، مجلد 2، ص 12

³ - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الاخلاق والتسامح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998، ص 145

⁴ - حسين علوان حسين، العولمة والثقافة العربية، العولمة والهوية، المؤتمر العلمي، عمان 1999، ص 127.

ومبادئها وقيمها حاسما في الصراع، والانتصار في صراع اللغات إنما يمثل بداية لتاريخ الغالب وانجازا لرحلته الحضارية كلها، وتمكّنه من فرض نفسه سيّدا في العالم، وعلى الجميع الاعتراف به، وبتفوقه، ونهاية لتاريخ المغلوب وجودا وهوية وثقافة وحضارة وقيما ومعتقدا. ثمّ امتلكوا اللغة والوطن والتاريخ "فلكوننا مختلفين السنة كان همنّا عبر التاريخ الانساني ما يمكن أن تسميه عولمة اللغة متخذة اشكالا متعددة، وأساليب متنوعة حاملة في أعماقها أهدافا بيّنة حيناً، وخفية أحيانا تتجاوز اللغة نفسها إلى اللغة كلّها، ولكّنها على تعدّد أشكالها وتنوع أساليبها، وطبيعة أهدافها انحصرت في مسارب أربعة:

الاول يتمثل في حرص كلّ أمة من الأمم منذ القدم على كسب النصر في أي صراع لغوي قد يحكم به التاريخ عليها أن تخوضه ضد غيرها

ويتمثل الثاني في حرص كلّ أمة على أن يكون لسانها سيّدا على ساحة الصراع الثقافي والحضاري، فبذلت بعض الأمم جهودا ضخمة وصرفت أموالا طائلة لنشر لغاتها على اوسع رقعة جغرافية ممكنة مستخدمة أساليب شتى، وطرائق مستحثة، ومخابر لغوية، وأفلاما وكتبا وأشرطة ومسلسلات وتوجيهات للقائمين بالتعليم¹

كلّ ذلك من أجل مد الرقعة الجغرافية للغة المعنية بما يفيد في نشر الثقافة القومية لأصحابها والتعريف بحضارتهم، وانجازاتهم العلمية والمعرفية والادبية والفنية وبما يسهم بدوره في اطلاع العالم كلّ على الصروح الحضارية لأصحاب هذه اللغة، وقد برز في هذا الميدان علم يعرف بـ علم اللسانيات الانثروبولوجية الذي يعنى بدراسة ثقافة المجتمعات الأساسية، واللغة أحد فروع الانثروبولوجيا بل أكثرها أهمية؛ لأنّ اللغة أداة فعالة لفهم طباع المجتمعات الانسانية، وكذلك برز علم اللغة الاجتماعي الذي يعنى بدراسة العلاقة بين اللغة ومحيطها الاجتماعي والثقافي وتعدد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد²

والثالث ولقدسية اللغة أية لغة عند الناطقين بها ادّعت كلّ أمة أن لغتها هي اللغة الملهمة من الله على البشرية جميعهم وهي لغة الخلود في العالم الآخر³

والرابع: ولأنّ اللغة قاسم مشترك بين الناس جميعهم تمكّنوا بفضلها من نقل المعلومات؛ ولأنّ العالم امتدت أطرافه وتعدّدت لغاته حتى ناهزت الخمسة آلاف لغة ظهرت دعوات كثيرة لايجاد لغة واحدة للبشر كافة، فكانت الدعوة الى لغات (فولابوك) ومبتكرها "شلييار" الذي تمثلت فكرته في إقامة هذه اللغة على محاولته وضع أبجدية عالمية قادرة على ترجمة أصوات كلّ لغات العالم، ولكن خابت كلّ المساعي⁴

واللغة هي مخزون المعرفة ولكلّ أمة تستخدم تلك اللغة ثقافتها المرتبطة بها، وأنّ التفاعل بين الأمم من جانب واحد قد يفضي الى انحلال واضمحلال اللغة الاضعف، وطمس شخصية الآخر الثقافية وهويته وخصوصيته

¹ - سويسبي رضا، مناهج استغلال المعطيات اللسانية في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص271، نقلا عن هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة عالم الكتب، الأردن، 2010، ص8

² - ينظر حنا سامي عياد وزميله، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، ص131

³ - ينظر ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحق مصطفى الشويبي، بيروت، 1963، ص30

⁴ - كنداروف، اصوات وارشادات، ص148، نقلا عن هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2009، اريد، ص9

فعولمة اللغة عملية تاريخية جارية ومستمرة منذ أن امتلك الانسان لغة ووطنا وتاريخا يختلف بها عن غيره

ولقد عاشت اللغة العربية منذ القدم صراعا مريرا مفروضا عليها من غيرها من اللغات، وكان هذا الصراع أبرز وجوه الصراعات التي خاضها العرب ضد الغزاة، وقد كتب للغة العربية الانتصار في هذا الصراع بشهادة المؤرخ الفرنسي "غوستاف" الذي أكد أن اللغة العربية تركت أثرا مهما في فرنسا نفسها، وعزز باحث آخر ما قاله "غوستاف" بقوله: إن اللهجات السائدة لولاية "أوفرني" وولاية "ليموزان" الفرنسيين محشوة بالكلمات العربية، ومن الطبيعي أن تقتبس فرنسا وإيطاليا من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط¹ وقد اعتمد علماء من شتى بقاع الأرض اللغة العربية وأبهرتهم، فعكفوا على طلب العلم العربي باللغة العربية التي أنقذوا تعلمها².

وتمثل عولمة اللغة الجانب المهم من عولمة الثقافة التي يحدث اليوم فيها الصراع، وهذه العولمة تدعو إلى بناء ثقافة كونية ذات عناصر عالمية مشتركة تتضمن نسقا معينا من القيم والمعايير التي يراد فرضها على شعوب العالم مما قد يؤثر بالسلب على الخصوصية الثقافية لهذه الشعوب³

وتدعو عولمة الثقافة إلى إيجاد ثقافة واحدة في لغة واحدة تسيطر وتسود وتهيمن على الثقافات الأخرى؛ وذلك عن طريق نشر مضامينها، وأساليب تفكيرها، بل وأساليب التعبير في محاولة منها للحلول محل الثقافات الأخرى، ومن ثمّ الحلول محل اللغات الأمية جميعا⁴

وتعدّ عولمة اللغة في المجتمعات العربية أشد من الاستعمار الذي ذاقوا مرارته؛ لأنّ عولمة لغة أجنبية على حساب اللغة العربية الأم من أخطر العولمات فتكا واستلابا للثقافة العربية، وللمستقبل العربي؛ لأنّ هذه العولمة ستؤدي إلى قطع صلة أبناء الأمة بكلّ شيء يمتلكونه من الإرث الحضاري والثقافي وقد خلقت العولمة نوعا من القلق والتوتر لدى دول العالم الثالث، وتدخلت في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية.

إن فكرة العولمة الثقافية في صراعها الحقيقي مع الثقافة العربية وهويتها القومية تعتمد للنيل من الشخصية القومية العربية كتعبير عن الوجود الحضاري للأمة العربية ومن هنا فإنّ الدفاع عن الشخصية القومية العربية يتطلب وضع الهوية القومية والخصوصية العربية للثقافة العربية في المقام الأول⁵

وأوضحت العولمة الثقافية عبر وسائل الاعلام وشبكات المعلومات كالانترنت وسواها تمارس نوعا من التحكم والضغط لسلوك الأفراد والمجتمعات وبطريقة قسرية⁶ و تساهم كثيرا بمزيد من الفاعلية في التأثير في الثقافات الوطنية عبر أجهزة الاعلام، ما جعل الثقافة العربية تتعرض لخطر كبير بفعل ظاهرة العولمة، إذ تمثل العولمة الثقافية أخطر التحديات المعاصرة

¹ - بن عبد الله، التعريب ومستقبل اللغة العربية، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، 1975، ص 305

² - هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، المرجع السابق، ص 11

³ - طيحة سعيد عبد الفتاح، العولمة وثقافتنا العربية "بحث تدوة العولمة والخصوصية الثقافية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 1999، ص 82

⁴ - بدوي عاطف، العولمة وتوجيهات الهوية الثقافية في محتوى مناهج التاريخ بالمرحلة الثانوية العامة في جمهورية مصر "بحث" مجلة القراءة والمعرفة، العدد 4، 2001، ص 70

⁵ - وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، الاردن، ط 1، 2007، ص 248

⁶ - حسين علوان حسين، العولمة والثقافة العربية، العولمة والهوية، المرجع السابق، ص 99

للتقافة العربية، وهذه الخطورة لا تأتي من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما من الآليات والأدوات التي تستخدم لغرضها

ونشير إلى أثر الانترنت باعتباره ظاهرة من ظواهر العولمة وقد قال "علي نبيل" مشيرا إلى التواصل اللغوي "تشير جميع الدلائل إلى أن التواصل عن بعد عبر الوسيط الالكتروني سيقبل مفهوم التواصل اللغوي الذي اعتدنا عليه رأسا على عقب سواء من حيث طبيعة العلاقة بين المرسل والمستقبل، أو من حيث تنوع أشكال التواصل¹

وإن تعددت اشكال التعريفات للانترنت إلا أن جميعها لم تتعد عن هذين التعريفين الأول يعتبرها شبكة مترابطة من ملايين الحواسيب حول العالم من خلال خطوط الهاتف أو الأقمار الصناعية، أو أي من نظم الاتصالات الأخرى²

والتعريف الثاني يرى الانترنت رابطة من شبكات الحاسب الآلي ذات المعايير المشتركة تمكّن من ارسال الرسائل من أي جهاز حاسوب آلي مركزي مرتبط بإحدى الشبكات إلى أي جهاز آخر مرتبط،³ ويعود تاريخ الشبكة العالمية إلى ما يعرف باسم Arpanet وهي الشركة التي أسستها عام 1969 الوكالة الأمريكية لمشاريع البحوث المتقدمة، وجاء هذا الاختراع كرد فعل أمريكي على إطلاق الاتحاد السوفياتي السابق للقمر الصناعي "سبوتنيك"⁴ فالانترنت وسيط الكتروني عالمي تفاعلي

ويترتب على كلّ من هذه الخصائص نتائج فيما يتعلق بنوع اللغة المستخدمة هناك، وينبع التأثير الأكثر أساسية من السمة الالكترونية للوسيط، وأوضح هذه السمات هي أن طبيعة الأجزاء الصلبة للحاسب الآلي الذي نحتاجه لكي يمكننا الاتصال بالانترنت تحدّد من الاختيارات الاتصالية للمستخدم، وعلى هذا الأساس فإنّ مجموعة من الحروف على لوحة المفاتيح تحدّد القدرة اللغوية الانتاجية كما يحدّد حجم الشاشة وتكوّن القدرة اللغوية الاستقبالية، وتبعاً لذلك فإنّه يمكن لهذا الوسيط أن يسهّل أنشطة لغوية تقليدية تسهّلا كبيرا⁵ ومع التوسعات والتطورات التي شهدتها الشبكة على المستوى المستوى العالمي تطورت شبكة الانترنت على المستوى العربي فشهد عام 1997 ولادة أعداد كثيرة من المواقع العربية، فتضاعف عدد المواقع المستخدمة للغة العربية، ومع التوسعات التي شهدتها الشبكة في العالم العربي توسعت أيضا الخدمات التي تقدمها للمستخدمين فظهرت العديد من المراكز التعليمية العربية، وتعتبر جامعة العرب الالكترونية أول مركز تعليمي عربي عبر الانترنت⁶

¹- نبيل علي، ورقة عمل بعنوان اللغة العربية والعولمة، المرجع السابق، ص92

²- نبيل علي، ورقة عمل بعنوان اللغة العربية والعولمة، المرجع السابق، ص92

³- ينظر ديفيد كريستال، اللغة والانترنت، ترج/ أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص13

⁴ - ينظر عبد المجيد بن حمادو، ورقة عمل اللغة العربية والانترنت الموسم الثقافي للمجمع، ص143، نقلا عن وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، ص64

⁵ - ديفد كريستال، اللغة والانترنت، المرجع السابق، ص39

⁶ - وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، المرجع السابق، ص79

وتُعد اللغة ركيزة التّخاطب الأساسية مع الشبكة، وهي المادة الأولى التي تمثل بواسطتها المعلومات المتوافرة في صفحات الانترنت، والمتبادلة بين الأشخاص والمؤسسات، وانطلاقاً من هذه الاعتبارات نرى أن اللغة المستخدمة بطريقة مكثفة في شبكة الانترنت هي الإنجليزية لكن مع عولمة الانترنت، فإنّ وجود اللغات الأخرى أخذ يزداد باضطراد¹ وقد ظهرت خدمة الانترنت في الوطن العربي متأخرة، حيث ظهرت في السنوات الأولى من التسعينات مجموعة من المواقع العربية التي لا تتعامل إلا باللغة الإنجليزية، ويعتبر موقع الشبكة العربية Arabnet من المواقع الأولى التي دخلت عالم الانترنت، والذي تأسس من قبل الشبكة السعودية للأبحاث في لندن، وظهر هذا الموقع في بدايات 1995، ويقدر عدد المواقع العربية باللغة العربية والانجليزية ما بين 8 و 80% ولكن وللأسف إنّ 80% من هذه المواقع ما زالت تستخدم اللغة الانجليزية، والهوة الفاصلة بين اللغة الانجليزية واللغات الأخرى هوة ملحوظة، ونشير إلى أنّ اللغة العربية تقع في المرتبة الثامنة عشرة² ومع أنّ الشبكة في تطور مستمر في العالم العربي إلا أننا مازلنا نرى أن العالم العربي يجبو ببطء نحو هذه الطفرة المعلوماتية الهائلة؛ لأنّ 45% يستخدمون اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية سواء في مشاركتهم لمجموعات الدردشة، أو في المراسلة عبر البريد الإلكتروني، أو في بحثهم عن موضوع ما عبر محركات البحث المعروفة "ياهو وجوجل" و 26% يشعرون أنّ اللغة العربية تحقق حاجاتهم المطلوبة، وهي نسبة قليلة، إلا أننا معذورون في ذلك؛ لأنّ المحركات باللغة العربية غائبة والمحتوى العربي قليل على تلك الشبكة 17% فقط يعرفون مواقع تعليم اللغة العربية وما يعيب المواقع العربية أن أغلب صفحاتها تنتقل من اللغة العربية في الصفحتين الأولى إلى اللغة الانجليزية في باقي الصفحات، وأن غالبية المواقع العربية بحاجة لأن تشترك فيها لكي تستفيد منها وهذا ما ليس موجوداً في المواقع الأخرى³ وخرقت الانترنت جميع الحواجز الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين دول العالم فهي توفر المعلومات بأنواعها المختلفة لكلّ من يصل إليها بغض النظر عن جنسه أو لغته أو دينه أو عمره أو مكانته الاجتماعية من هنا أرى أن الانترنت إحدى الوسائل المهمة لا يصال رسالة العولمة⁴ وأهم سيئة تحدّد من فائدة اللغة الشبكية أنّها تفرغ اللغات من شحنتها الثقافية وتبسطها في قوالب أشبه ما تكون بالرموز، وفي ذلك ما فيه من السلخ والمسخ.

يعايش العربي المعاصر عالين متناقضين حاملاً في شخصيته ثقافتين متباعدين يصعب التفريق بينهما ثقافتين غير متكافئتين، ثقافة تراثية مفعمة بالمواطنة الأصلية وأخرى عولمية تغريبية تسلبه الأولى، وتدفعه نحو عصنة فردية، وبين العالم الأول والثاني يقف العربي عاجزاً عن الوصل بين ماضيه وبين عصنة الآخر المغترية عنه⁵ إذاً فإنّ العولمة واقع معيش، وقدر وقدر محتوم فالقضية في العولمة ليست قضية اختيار فكري أو ثقافي أو سياسي في أن نقبلها أو نرفضها بقدر ماهي قضية سؤال عن كيفية التعامل معها، واستيعابها، وتحسين لغتنا وثقافتنا لمواجهتها⁶

¹ - المرجع نفسه، ص 79

² - المرجع نفسه، ص 73

³ - المرجع السابق، ص 72

⁴ - المرجع نفسه، ص 68

⁵ - جان زجلر، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، عالم الفكر، الكويت، مج الثامن والعشرون، العدد 2،

1999، ص 123

⁶ - هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، المرجع السابق، ص 17

فماذا اعددنا كي نصمد في وجه هذا التيار الجارف قبل ان يجرفنا ويقضي على كل شيء لنا بما فيه لغتنا؟ وفي الاجابة عن هذا السؤال نجد الناس فريقين مختلفين فريق تارك نفسه للموج مؤيد، والثاني رافض رفضا مطلقا لكل عولمة باسم حماية الخصوصية الثقافية العربية،

يرى أصحاب الرأي الأول: أن العولمة والعولمة الثقافية مقبولة إن لم تكن اضطهادا فكريا للآخرين، وأن تتغذى من تنوع الثقافات والقيم وتعدد الطموحات المشروعة، واحترام الثقافات والهويات الأمية المختلفة وقبول الآخر، وهدم ال أنا، والاعتراف بالتعدد الثقافي واللغوي والحضاري والاقرار بأن الاختلاف بين الشعوب والثقافات واللغات أمر واقع¹ وأن لا تكون العولمة اللغوية والثقافية نقيضا لتوجهات الحضارة العربية الاسلامية، ويمكن لأجواء العولمة المفتوحة أن تعين على إيجاد وسائل وآليات تستخدم في صالح اللغة العربية كي تأخذ مكانتها المأمولة في حياة الانسان العربي فالتقدم الهائل في وسائل الاتصال من شأنه أن يخدم اللغة العربية الفصحى، كما يمكن للعربية أن تستفيد من الثورة المعلوماتية من حيث انتاج البرامج التعليمية²

ويرى أصحاب الرأي الثاني: أنّ الشأن الثقافي لكل أمة هو الذي يحدد بقوة ملامح هويتها، وعندما نتحدث عن الثقافة فإنما نتكلم عنها بمنظورها الواسع المستمد من عقيدة الأمة ولغتها وتراثها المشترك، وتعدّ اللغة من أهم الملامح التي تكون هوية الامة وتميزها عن غيرها من الأمم، فاللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة ومن هنا فإن أي تحد لثقافة ما ينطوي على تحد للغتها³

وإذا كانت اللغة . أية لغة . بأهلها لا بنفسها فإننا قد وجدنا اللغة العربية ترافق مسيرة الامة بقوتها وتضعف بضعفها فقد استطاعت في الماضي أن تحمل حضارة من أضخم ما عرفت الانسانية من حضارات...وفي مطلع هذا القرن بدت لغتنا بعيدة عن الحياة، لبعد أصحابها عن الحياة إنّها في محنة توازي محنة هذه الأمة.⁴

فاللغة العربية تعيش أزمة بكل ما تعنيه هذه العبارة المشحونة بالمعاني والدلالات أزمة في المدارس، وأزمة في الجامعات ووسائل الاعلام وغيرها

وتواجه اللغة العربية اليوم في عالم العولمة تحديات ومخاطر تستهدف الناطقين بها؛ لأن العولمة تهدف الى تنمية الاتجاه نحو إيجاد لغة اصطلاحية واحدة تتحول بالتدريج الى لغة وحيدة للعالم، يتم استخدامها وتبادلها سواء للتخاطب بين البشر أو بين الحاسبات الالكترونية، أو ما بين مراكز البيانات وصناعة المعلومات إنّ الانفتاح الحضاري غالبا ما يقود الى انسداد ثقافي من نوع خاص يفضي إلى الجمود فالانحدار والتلاشي إذ أنّ الدخول في قصور الحضارة المشتركة يستوجب خروجاً غير مأسوف عليه من مضارب الثقافة⁵

¹ - المرجع نفسه، ص18

² - أحمد محمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان، ط1، 2001، ص 30

³ - ينظر اللغة العربية في عصر العولمة، المرجع السابق ص13

⁴ - نبيل علي، ورقة عمل بعنوان اللغة العربية والعولمة، المرجع السابق، ص89

⁵ - عبد الكريم خليفة، اللغة العربية أساس لنهضة أمتنا ووجدتها، عن مجلة المجمع الأردني، 1984، ص10

وتعمل العولمة على سحق الهوية الوطنية المحلية وإعادة صهرها وتشكيلها في إطار هوية وشخصية عالمية أي الانتقال بها من الخصوصية إلى العمومية، سحق الثقافة والحضارة المحلية الوطنية، وإيجاد حالة اغتراب مابين الانسان وتاريخه الوطني والموروثات الثقافية والحضارية التي انتجتها حضارة الآباء والأجداد

ويرى د/ "عبد الله عبد الدايم" كما يرى كثير من المفكرين أن العولمة التي تنادي في ظاهرها بالربط والتوحيد بين البلدان والحضارات والتغلب على العامل الجغرافي من العالم قرية واحدة غير أنها في باطنها عامل صراع ودعوة إلى سيطرة القوي على الضعيف، والغني على الفقير وسيلا لهيمنة قوى علمية كبرى محدودة¹

فإن نجاحنا في اللحاق بركب الحضارة المعاصرة رهن بنجاحنا في أن نؤمن للغتنا شروط عضويتها في نادي اللغات العالمي الذي أخرجه إلى حيز الوجود النزعة المتنامية نحو العولمة التي نشهدها حاليا، ومن منظور هذه الدراسة تعني حركة العولمة اسقاط الحواجز اللغوية كشرط أساسي لدمج بلدان العالم وثقافتهم المختلفة في كيان لغوي واحد يتسم بالشفافية اللغوية² ويؤكد د/ هادي نهر أن اللغة العربية الآن في عصر العولمة تواجه تحديات كبيرة جدا تتمثل في تيار اللغة الأجنبية الجارف قائلا: تتمثل مظاهر العولمة اللغوية في العالم العربي في:

* التداول باللغة الأجنبية في الحياة اليومية، فالتحدي الذي يواجه اللغة العربية "في هذا العصر مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية الناتج غالبا عن الانبهار بكل ماهو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يتحقق إلا عن طريق اتقان الجميع للغة الأجنبية، بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم، والغريب أن الولع باللفظ الأجنبي يؤدي بكثير من الناس إلى ترك اللفظ العربي المتيسر إلى اللفظ الغريب، وأصبح المواطن غريبا لغويا في كثير من المؤسسات، ومما يجدر ذكره أن الاستعمال الرسمي هو الذي يكسب اللفظ العربي السيورة، ويجعله راسخا في الاستعمال³

* والتواصل عبر الانترنت والهواتف الخلوية باللغة الأجنبية ساعد على انتشار لغات اجنبية في البلاد العربية على حساب اللغة العربية ومن غير ضوابط، بل ويتوقع البعض أن تحل لهجات إنجليزية محل اللغة العربية بعد أن تحل اللهجات المصرية على وجه الخصوص محل اللغة العربية تمهيدا لإلغائها وانقراضها كما انقرضت اللغة اللاتينية في أوروبا، والأخطر من ذلك أن يتلقى الطرف الداعي لإشاعة لغة أجنبية على حساب اللغة العربية ترحيبا وحفاوة من أكثر من طرف عربي أو غير عربي

* اشتراط إتقان اللغة الأجنبية للتوظيف فعندما ننظر إلى وضع اللغة العربية في سوق العمل نجد أن المبالغة في أهمية اللغة الأجنبية واشتراط إجادة كتابة وقراءة وتحدثا من قبل الشركات الأجنبية وغير الأجنبية أصبح ظاهرة تستحق الوقوف عندها وتأملها بل وتأمل انعكاساتها على مصلحة الوطن وملامح الهوية إذ من المتوقع أن تزداد مزاحمة اللغة الأجنبية للعربية شراسة في سوق العمل مع استفحال العولمة⁴

¹ - عبد الله عبد الدايم، التربية والقيم الإنسانية في عهد العلم والثقافة والمال، مجلة المستقبل العربي، بيروت، 1998، العدد 220،

² - محمد مقدادي، العولمة، دار الفارس للنشر، الاردن 2002، ص 119

³ - المرجع السابق، ص 20

⁴ - المرجع نفسه، ص 19

ويكفي أن نعرف أن اشتراط إجادة اللغة الأجنبية وقف حائلا أمام المواطن العربي دون الحصول على وظيفة، وحلوا الباب على مصراعيه لأعداد غفيرة من الأجانب

إذاً يبدو التحدي سافرا للغة العربية في المجتمع بفعل العولمة، والشبه الساذج بالأجنبي عندما تجاهر كثير من المحلات التجارية والمؤسسات الخاصة بكتابة لافتاتها بالأجنبية، وتسطر تقاريرها، وتصوغ عقودها وتصدر تعليماتها إلى العاملين فيها وإن كانوا عربا باللغة الأجنبية، الأمر الذي يمس الوضع السيادي للغة العربية بوصفها اللغة الرسمية، وفي هذه الحالة يرقى الفعل إلى درجة الاستهتار بهيبة الدولة¹

وكان من آثار التضخم الاعلامي لأهمية اللغة الأجنبية أن ارتفعت الاصوات تنادي بتعلم اللغة الأجنبية للأطفال.

* أما على المستوى الرسمي فقد كفلت كثير من التشريعات الحكومية في البلاد العربية موقعا متفوقا للغة الانجليزية أو الفرنسية من حيث عدّها اللغة الأجنبية الأولى في النظم التعليمية.² بالإضافة إلى ظهور الرافضين للتعريب والذين لا يخرجون عن ثلاث فئات: فئة حسنة النية تحب اللغة العربية ولكنها تتردد، وتشير إلى قضية المصطلح، وفئة تجهل اللغة العربية جهلا يكاد يكون تاما، وفئة مستعربة مسلبة، الحقت باللغة العربية العديد من الشبهات منها: أن اللغة العربية لغة بدواة، وأن اللغة العربية لا عهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة بالإضافة الى عدم دقة المصطلحات، وعدم جدواها، وازهار اللغة العربية في موقف العاجز عن مسايرة التطور العلمي والحضاري

ويضيف د/ "هادي نهر" مجموعة من الآثار نلخصها فيما يأتي

التأثير على أفكار الأجيال العربية لا سيما الشباب في الجامعات تأثرا يسقّه إيمانهم بلغتهم، ويعدّهم عنها تمهيدا للعبث بأفكارهم، وتحميل لغتهم كلّ تبعات الواقع المتردي الذي تعيشه أمتهم في عالم التقنيات والابتكارات، واقناع الأجيال العربية أنّ في اللغة العربية الكثير من التعقيد، وفي استعمالها تخلفا، وأن في استعمال غيرها من اللغات تخضرا وتقدما، والتسليم بأنّ اللغة العربية لا يمكن لها ان تواكب مسيرة العصر المتسارعة علومها وتقنيات هذا على المستوى الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فإن هناك حركة جموح لاقضاء اللغة العربية في أكثر من مكان، ومنها الغاء اللغة العربية لغة عالمية في المنظمة الدولية، عدم استعمال المندوبين العرب للغتهم، عدم وجود مترجمين عرب أكفاء من العربية إلى لغات أخرى أو العكس، عدم وفاء أكثر الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال اللغة العربية في المحفل العالمي، وإلغاء أكثر الجامعات الأمريكية تدريس اللغة العربية مستعيزة عنها باللهجات العربية من أجل توسيع دوائر الفرقة بين أبناء اللغة الواحدة، وكان في امتحان البكالوريا الفرنسية يسمح للطلاب باختيار لغة ثانية كالألمانية أو العربية وفي عام 1995 ألغيت اللغة العربية من بين اللغات التي يسمح باختيارها للامتحان لغة عالمية ثانية، وان ضغوط الدول الكبرى على اليونسكو جعلها تعلن مؤخرا أن الحقوق اللغوية تنحصر في ثلاثة أمور هي: الحق في لغة الأم وليس (اللغة الأم)، والحق في لغة التواصل في المجتمع أيضا كانت لهجة أو عامية أو رطانة ما دفعه الى القول: نعتقد انه بعد جيلين

¹ - ينظر هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، المرجع السابق، ص 263 بتصرف

² - ينظر المرجع نفسه، ص 2422

أو ثلاثة أجيال في الأكثر ستنشأ طبقات اجتماعية عربية، ليست لها صلة أو انتماء للغة العربية، وليست للغة العربية صلة أو انتماء إليها¹

فالعولمة تعمل على تغريب الثقافات الوطنية من خلال آليات أصبحت أكثر قوة مثل وسائل الاعلام والتقنيات الحديثة وتوظف العلم للاختراق الثقافي، والهيمنة على الثقافات التقليدية بهدف طمس هوية الشعوب² فتراجع العملية الثقافية والاجتماعية في المجتمعات التقليدية والنامية، ويعد تعميم ثقافة الاستهلاك واحدا من آليات الهيمنة المفروضة والخطر الاكبر في عملية العولمة انما تفرض من الخارج، فهي ليست نتاجا لتفاعلات بين الحضارات

والحقيقة ان الامر بعد هذا ليس في تجاهل هذا الفريق للعولمة أو الدعوة لمقاومتها، أو التكيّف معها عند فريق آخر وانما الأمر يكمن في الوعي بالعولمة، ومن ثم اعداد العدة لمواجهة السالب منها فماذا أعددت لمواجهة العولمة اللغوية الثقافية، ونحن نجد لغتنا تواجه عدوانا خارجيا وداخليا؟

ومن الحلول المقترحة نذكر:

. رفض السيطرة الثقافية والكشف عن آليات التبعية وتشديد الصراع ضدها

و"الابد من وجود سمات للطلاب العربي في ظل العولمة تجعله قادرا على مواجهة هذا التحدي بثبات، وبمحافظة على الهوية الثقافية ومن أهم هذه السمات

. الاعداد الوطني والقومي وتقوية اعتزازه بوطنه وقوميته

. اعداد الطالب العربي لدخول العولمة ولمواجهتها وتحدياتها³

و توجيه المزيد من الجهود لانشاء مزيد من الصفحات المرجعية ذات الطابع العربي في فضاء الانترنت، "فقد أثبتت اللغة العربية جدارتها على مر العصور وحققها في أن تصبح لغة عالمية، وشهد تاريخ الفتح الاسلامي على سرعة انتشارها واندماجها في بيئات متباينة، لقد نجحت اللغة العربية في عصور الازدهار في أن تكون أداة فعالة لنقل المعرفة"⁴

- العمل على نشر العرب للغتهم خارج حدودهم، وتطوير الوسائل العلمية الصالحة لتعليم هذه اللغة لغير الناطقين بها، وتكثيف الجهود لتحقيق وحدة ثقافية بين أقطارهم وهذه الوحدة لا تكون إلا بأداة العروبة الأولى . اللغة العربية . ألم يرفع "هوشي منه" شعارا يقول: لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى لغتنا وثقافتنا القومية⁵

- دعوة مجامع اللغة العربية في الدول العربية كافة ومراكز البحوث والهيئات الجامعية والتعليمية العربية إلى الاستفادة من الامكانيات التي يتيحها الانترنت لبث حصيلتها المعرفية، وتقديمها للعرب . استحداث محرك بحث باللغة العربية يضاهي محركات البحث الأجنبية "ياهو وجوجل"

¹ - ينظر المرجع السابق ص 267

² - أحمد مجدي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر، 2001، ص 32

³ - وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، المرجع السابق، ص 85

⁴ - هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، المرجع السابق، ص 106

⁵ - ينظر رابعة ن/ د غازي، سياسة البحث العلمي والتعليم العالي في اسرائيل، ص 812، نقلا عن هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، المرجع السابق، ص 36

- تعميم الفصحى في كلّ مراحل التعليم، والعمل على تفصيح العامية، واتباع سياسة اعلامية في الوطن العربي تلتزم بمقتضاها وسائل الاعلام بالانتصار للغة العربية في أنشطتها كافة؛ لأن في عالم البحث عن الهوية وتأصيلها تستند اليوم كلّ الشعوب الحية إلى اللغة للدفاع عن انتسابها الحضاري، وماضيها، ومصالحها وبناء مستقبلها

- إن الواقع المعيش في عصر صراع الحضارات أو حوار الحضارات، وفي ظل موجات العولمة وما اشتملت عليه من تكريس للاستكبار، ورفض الآخر والتعريض بالحضارات ومحاوله إزالتها يتحتم علينا نحن العرب أن نعود للغتنا؛ لأننا نتعامل مع اللغة العربية بعيدا عن كوننا أمة كان لها في لغتها وجه من أبرز وجوه حضارتها، مع غياب الوعي بأهمية اللغة الأم

- وأن نفكر بمستقبلنا في عالم لا مكان للضعفاء فيه، فإنّ أي تراجع للغة العربية يعطي الدليل الكافي على ضعف وفائنا نحن العرب لهذه اللغة، وهو مؤشر واضح لقبولنا وتسليمنا للغزو الثقافي والمعرفي والعلمي واللغوي على حساب لغتنا

- أما فيما يخص وسائل الاعلام لابد من اعتماد اللغة العربية السليمة في برامج الأطفال، وتوجيه برامج إذاعية وتلفازية تعمل على تفعيل الحوار مع الاطفال العرب خارج الاقطار العربية وداخلها، والعمل على نشر اللغة العربية بين أبنائها وفي اوساط الأقليات والجاليات الناطقة بغير العربية، وتدخل القرار السياسي في تدبير الامن اللغوي، وصياغة القوانين الملزمة لاشاعة العربية السليمة، لغة للتعليم في كلّ مراحل الدراسة، وحمايتها وتعيين وظائفها بمقتضى محيط الاستعمال (لغة رسمية، لغة وطنية، أو لغة الانفتاح أولغة العمل.

. اهتمام الدولة بتكوين إطارات باللغة العربية

والاستفادة من تجارب الشعوب غير العربية في مواقفها من لغتها وكيف تمّ لبعض الأمم الانتصار للغاتها، وما أكثر القوانين التي سنتها الدولة الالمانية لتحسين لغتها واعتمادها لغة العلم والادب، ولنا في تجربة اليابان قدوة حيث ادركت منذ بداية النهضة العلمية والاقتصادية في بلدها أنّه لا يمكن لأمة أن تبداع علما وتسجل نجاحا الا بلغتها الام، وأن العالم لا يستمع إلى أمة لا تتحدث بلغتها، والتجربة الكورية مثال حي لاعتزاز الشعوب بلغاتها فالتعليم كلّ باللغة الكورية علما بأنّ اللغة الكورية كانت ممنوعة زمنا طويلا وقد حلت محلها اليابانية في اثناء الاحتلال الياباني،" أما الاسرائيليون فقد جعلوا من العبرية التي كانت لغة تواصل محدود دائرته بعض اليهود حتى القرن التاسع عشر جعلوها لغة العلم والبحث وفي أكثر من سبعين مؤسسة علمية منها أربع جامعات علمية وستة عشر معهدا علميا، واثنى عشر مختبرا، واربعة مفاعلات ذرية¹

¹ - أحمد بن نعمان وآخرون، اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، سلسلة المستقبل العربي، "46" مركز دراسات الوحدة العربية،

الخاتمة:

إن التفكير في اللغة العربية لا ينصرف حصراً إلى بيان اتّصالها ببناء هوية الأمة وشخصيتها الثقافية والحضارية، وإنما ينصرف إلى بيان صلتها ببناء مشروع نهضوي في المستقبل¹ وإن المستقبل العربي مرتبط بإرادة تغيير، والتغيير يبدأ من طريقة النظر في الأمور² وأن حاضراً اللغة العربية يفرض قراءة وضع هذه اللغة وسيره وتقييمه من أجل الانطلاق إلى الأمام³

ونؤكد أنّ للغة العربية مكتسبات مهمة لا تزال قائمة وفاعلة في عصر العولمة منها: مكتسبات دينية فاللغة العربية لغة القرآن "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" الحجر 09

مكتسبات سياسية فهي لغة رسمية لـ 22 دولة عربية، وإتّما لغة رسمية في جامعة الدول العربية، ومنظمة اليونسكو، والمؤتمر الاسلامي، والأمم المتحدة، وأن العربية إحدى أكثر اللغات انتشاراً اليوم خارج وطنها، وهي خامس لغة من حيث عدد المتكلمين بها بعد الصينية، والهندية والانجليزية والاسبانية، مكتسبات اعلامية اذ تبث بها أكثر من خمس مائة محطة فضائية عربية وأجنبية، وهناك اهتمام أجنبي كبير باللغة العربية ففي تقرير لـ science أشار إلى أنّ العربية ستحتل المركز الثالث عام 2050 بعد الصينية والهندية، وأن هناك مشروع (الاييسكو) الداعي الى كتابة اللغات الافريقية بالحرف العربي، ووضع معجمات عربية لهذه اللغات⁴

- فالعولمة تطرح أعباء وتحديات أمام اللغة العربية كما تطرحها على غيرها من اللغات بما يستوجب على كلّ أمة من الأمم تأهيل نفسها ضد هذا التحدي بغية بناء مستقبلها العلمي والمعرفي، فاللغة ليس لها ما تفعله للدفاع عن نفسها فهي رهينة أهلها

إذاً فخبر وسيلة لمواجهة العولمة هي الحضور لا الغياب، فغيبنا عنها هو أسوأ شكل ممكن لحضورها فينا.⁵

قائمة المراجع:

- . ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق/ مصطفى الشويبي، بيروت، 1963
- . ابن عبد الله، التعريب ومستقبل اللغة العربية، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، 1975
- أحمد بن نعمان وآخرون، اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، سلسلة المستقبل العربي، "46" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005

¹ - محمد عابد الجابري، الموضوع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005، ص 167

² - محمد غنايم، اللغة العربية وبناء المستقبل العربي، المستقبل العربي 347، بيروت 2008، ص 46

³ - اللغة العربية في عصر العولمة، المرجع السابق، ص 16

⁴ - ينظر هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، المرجع السابق، ص 27

⁵ - جورج طاربيشي، من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، لبنان 2002، ص 88

- . أحمد محمد الضبيب ، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان، ط1، 2001
- . أحمد مجدي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر، 2001،
- بدوي عاطف، العولمة وتوجيهات الهوية الثقافية في محتوى مناهج التاريخ بالمرحلة الثانوية العامة في جمهورية مصر "بحث" مجلة القراءة والمعرفة، العدد4، 2001
- جان زيجلر، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، عالم الفكر، الكويت، مج الثامن والعشرون، العدد2، 1999
- . جورج طاربيشي، من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، لبنان 2002،
- . حسين علوان حسين، العولمة والثقافة العربية، العولمة والهوية، المؤتمر العلمي، عمان، 1999.
- . حنا سامي عياد وزميله، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان
- خلدون طبازة وجهاد عبد الله، ورقة عمل بعنوان اللغة العربية في عصر الانترنت، مقدمة لمجمع اللغة العربية الأردني، الرابع عشر، 1996
- . ديفيد كريستال، اللغة والانترنت، ترج/ أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة، 2005
- طيحة سعيد عبد الفتاح، العولمة وثقافتنا العربية "بحث" ندوة العولمة والخصوصية الثقافية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 1999
- . عبد الستار الراوي، في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، 1998، عدد228، مجلد2
- عبد الله عبد الدايم، التربية والقيم الانسانية في عهد العلم والثقافة والمال، مجلة المستقبل العربي، بيروت، 1998، العدد220
- . عبد الكريم خليفة، اللغة العربية أساس نهضة أمتنا ووحدةها، عن مجلة المجمع الأردني، 1984
- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الاخلاق والتسامح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998
- محمد عابد الجابري، الموضوع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005 - محمد مقدادي، العولمة، دار الفارس للنشر، الاردن 2002
- . محمد غنايم، اللغة العربية وبناء المستقبل العربي، المستقبل العربي 347، بيروت، 2008
- نبيل علي، ورقة عمل بعنوان اللغة العربية والعولمة، مقدمة لمجمع اللغة العربية الأردني في موسمه الثقافي 2001، 19
- . هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اريد، 2009
- . وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، الاردن، ط1، 2007